

الرَّسَالَةُ ٣٤٤

كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟

(Arabic - How will this be?)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟

ومن إنجيل لوقا الأصحاح الأول نقرأ العددين الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين:

"فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلَكِ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟. وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا. فَأَجَابَ الْمَلَكُ وَقَالَ لَهَا: الرَّوحُ الْقُدُسُ يَجِلُّ عَلَيْكَ. وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَظَلِّكَ. فَذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ. يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ."^١

أحيانًا تواجهنا أمورٌ غامضةٌ يعجزُ إدراكنا دونَ استيعابها فنتساءلُ: "كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟". والكتابُ المقدسُ حينَ يسردُ قصصَ الأنبياء والرسل وسائرَ القديسين نلاحظُ أنه لا تخلو قصةٌ أحدهم من موقفٍ كان محيرًا له ولم يسعُه إلا أن يتساءلَ قائلًا: "كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟". وفي حديثنا اليوم سنذكرُ أربعَ شخصياتٍ من العهد الجديد وجهوا ذلك السؤال. وكلُّ منهم وجهَ سؤاله في مناسبةٍ معينةٍ وتلقى إجابةً على سؤاله. وإن اختلفت ردودُ أفعالهم باختلاف شخصياتهم. وبالتأمل فيما وردَ بالكتاب المقدس في الظروف المصاحبة لكلِّ حالةٍ نحاولُ استنباطَ دُرُوسِ رُوحِيَّةٍ لنستفيدَ بها من كلِّ قصةٍ نسردُها. حسبَ ما قال بولس الرسولُ في رسالتهِ إلى مؤمني رومية الأصحاح الخامس عشر: "لأن كلَّ ما سبقَ فكتبَ كُتِبَ لأجلِ تعليمنا حتى بالصبرِ والتعزيةِ بما في الكتبِ يكونُ لنا رجاءً".^٢

وبالتأمل في الإجابة لذلك السؤال وهو: "كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟". الذي وردَ في قصصِ الشخصيات من العهد الجديد الذين تمَّ اختيارُهُم للحديث عنهم. وسبقي هذا السؤال على الدوام على ألسنة البشر في كلِّ العصور. وسنرفع قلوبنا إلى الله طالبين إرشادَ الروح القدس. لأننا كما قال بولس الرسولُ في رسالتهِ الأولى إلى مؤمني كورنثوس الأصحاح الثالث عشر: "الآن أعرفُ بعضَ المعرفةِ لكن حينئذٍ سأعرفُ كما عرفتُ". وسنبدأ أولًا بشخصيةٍ لها في قلوبنا تقديرٌ متميزٌ لا يُعادلُه تقديرٌ لغيرها من البشر.^٣

الشخصية الأولى: القديسة العذراء مريم.. ومن كلمات الوحي المسجل بإنجيل لوقا الأصحاح الأول: أن جبرائيل الملاك أرسل من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك وقال: سلامٌ لك أيُّتها المنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت في النساء. فلما رأتها اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية؟. فقال لها الملاك: "لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيمًا وابن العليُّ يدعى ويُعطيه الربُّ الإله كُرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية". فقالت مريم للملاك: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟. وأنا لستُ أعرفُ رجلاً. فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يجلُّ عليك وقوة العليُّ تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله. ثم قال لها: لأنه ليس شيءٌ غير ممكن لدى الله. فقالت مريم: "هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك". فمضى من عندها الملاك.^٤

إنَّ الدرسَ الذي يجدرُ بنا أن نتعلمه من القديسة العذراء نجدُه في الكلمات الأخيرة التي أجابت بها الملاك إذ قالت: هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك. إن كلمة: أنا أمة الرب تعني أنا عبدة خاضعة لأمر سيدي الرب. وبنفس الأسلوب استهلَّ بولس الرسولُ رسالتهِ إلى مؤمني فيلبى. وهذه هي مقدِّمة رسالتهِ إليهم: "بولسُ وتيموثاوسُ عبداً يسوع المسيح". فليت كلُّ مؤمنٍ اختبرَ خلاصَ الربِّ يُقدِّمُ نفسه كما قدَّم بولس وتيموثاوسُ أنهما:

^١ إنجيل لوقا ١: ٣٤ - ٣٥ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ١٥: ٤

^٣ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمني كورنثوس ١٣: ١٢

^٤ إنجيل لوقا ١: ٢٦ - ٣٨

عَبْدًا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَلَيْتَ كُلُّ مُؤْمِنَةٍ اخْتَبَرَتْ خَلَاصَ الرَّبِّ نَقَدَّمْ كَمَا قَدَمَتِ الْقَدَيْسَةَ الْعَذْرَاءَ نَفْسَهَا: هُوَذَا أَنَا أَمَةٌ الرَّبِّ. أَنَا عَبْدَةٌ خَاضِعَةٌ لِمَا يُشِيرُ بِهِ وَيَأْمُرُ سَيِّدَى الرَّبِّ.^١

الشَّخْصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا.. جَاءَ بِإِنْجِيلٍ لَوْقَا الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ أَنَّهُ: كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَرُونََ وَاسْمُهَا إِيصَابَاتٌ. وَكَانَا كِلَاهُمَا بَارَتَيْنِ أَمَامَ اللَّهِ سَالِكَيْنِ فِي وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلا لَوْمٍ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ إِذْ كَانَتْ إِيصَابَاتٌ عَاقِرًا وَكَانَا كِلَاهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا. فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْفُهُ فِي نَوْبَةٍ فَرَّقْتِهِ أَمَامَ اللَّهِ حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ أَصَابَتْهُ الْقَرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ وَيُحْزِرَ. وَكَانَ كُلُّ جُمُهورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجًا وَقَتَ الْبُحُورِ. فَظَهَرَ لَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ واقفاً عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبُحُورِ. فَلَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ فَقَالَ لَهُ الْمَلَاكُ: "لَا تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا. لِأَنَّ طَلِبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ وَامْرَأَتُكَ إِيصَابَاتٌ سَتُؤَلِّدُ لَكَ ابْنًا وَتَسْمِيهِ يُوحَنَّا. وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لَا يَشْرَبُ. وَمَنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهُهِمْ". فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلَاكِ: "كَيْفَ أَعْلَمُ هَذَا؟". لِأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا فَأُجَابُ الْمَلَاكُ وَقَالَ لَهُ: أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قَدَامَ اللَّهِ. وَأُرْسِلْتُ لِأَكْلِمَكَ وَأَبَشِّرَكَ بِهَذَا. وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتًا وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا. لِأَنَّكَ لَمْ تَصَدِّقْ كَلَامِي الَّذِي سَبِّحْتَهُ فِي وَقْتِهِ. إِنَّ الدَّرْسَ الَّذِي نَتَعَلَّمُهُ مِنْ قِصَّةِ زَكَرِيَّا هُوَ إِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُ بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى حَتَّى لَوْ كَانَتْ عَلَى خِلَافِ الطَّبِيعَةِ. يَسْتَجِيبُ لَنَا حَتَّى لَوْ نَسِينَا مَا صَلَّيْنَا لِأَجْلِهِ.^١

الشَّخْصِيَّةُ الثَّلَاثَةُ: نِيْقُودِيْمُوسُ رَئِيسُ الْيَهُودِ.. وَرَدَّتْ قِصَّتُهُ بِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ. جَاءَ إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ لَيْلًا وَفُوجِيٌّ فِي حَدِيثِهِ مَعَ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ قَالَ لَهُ: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُؤَلِّدُ مِنْ فَوْقِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ". قَالَ لَهُ نِيْقُودِيْمُوسُ: كَيْفَ يُمَكِّنُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُؤَلِّدَ وَهُوَ شَيْخٌ.. أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنِ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُؤَلِّدَ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُؤَلِّدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ.. الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ". أَجَابَ نِيْقُودِيْمُوسُ وَقَالَ لَهُ: "كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا؟" أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلَسْتَ تَعْلَمُ هَذَا؟ إِنَّ الدَّرْسَ الَّذِي نَتَعَلَّمُهُ هُنَا. دَرْسٌ جَوْهَرِيٌّ وَهُوَ الْأَسَاسُ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ مَسِيحِيَّتُنَا أَلَا وَهُوَ الْمِيلَادُ الثَّانِي. إِنَّ كَلَامَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ لِنِيْقُودِيْمُوسَ كَانَ رُوحِيًّا. وَلَكِنْ نِيْقُودِيْمُوسُ خَلَطَ مَا بَيْنَ الرُّوحِيِّ وَمَا هُوَ جَسَدِيٌّ. فَلَيْتُنَا نَتَعَلَّمُ الدَّرْسَ وَنُوصِلَهُ لِلْآخَرِينَ: أَنْ الْمِيلَادَ الثَّانِي هُوَ عَمَلُ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي الْإِنْسَانِ الَّذِي يُؤْمِنُ. وَبَدُونِ الْمِيلَادِ الثَّانِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ.^٢

الشَّخْصِيَّةُ الرَّابِعَةُ: تَتَمَثَّلُ فِي تَلْمِيذِي عَمُوسَ.. لَقَدْ جَاءَ ذَكَرُهُمَا بِإِنْجِيلِ لَوْقَا الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ. ظَهَرَ لَهُمَا يَسُوعُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ وَهُمَا فِي طَرِيقِهِمَا مِنْ عَمُوسَ إِلَى قَرْيَةٍ مُجَاوِرَةٍ لَهَا. أَمْسَكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ. رَأَاهُمَا يَسُوعُ يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوِرَانِ. إِذْ أَتَاهُمَا سَمِعًا عَنْ قِيَامَتِهِ لَكِنْ سَاوَرَتْهُمَا شُكُوكٌ. قَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: "مَا هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ؟". أَجَابَاهُ بِقَوْلِهِمَا: "إِنَّ بَعْضَ النِّسْوَةِ مَيَّا حَيْرَتَنَا. إِذْ كُنَّا بَاكِرًا عِنْدَ الْقَبْرِ وَلَمَّا لَمْ يَجِدْ جَسَدَهُ أَتَيْنَا قَائِلَاتٍ إِنَّهُنَّ رَأَيْنَ مَنْظَرَ مَلَايِكَةٍ قَالُوا إِنَّهُ حَيٌّ. فَقَالَ لَهُمَا: أَيُّهَا الْغَيْبَانِ وَالْبَطِينَا الْقُلُوبِ فِي الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ.. أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ الْمَسِيحُ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلَ إِلَى مَجْدِهِ؟. ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يَفْسِّرُ لَهُمَا الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ. ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُمَا فَلَمَّا اتَّكَأَ مَعَهُمَا أَخَذَ خُبْرًا وَبَارَكَ وَكَسَرَ وَنَاوَلَهُمَا. فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا. فَقَالَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مَلْتَهَبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِّحُ لَنَا الْكُتُبَ؟. إِنَّ الدَّرْسَ لِنَتَعَلَّمُهُ مِنْ قِصَّةِ تَلْمِيذِي عَمُوسَ لِنُوَاجِهَ الْحَيْرَةَ وَالسُّوَالَ: "كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟". أَنْ نَلْجَأَ إِلَى الْمَكْتُوبِ لِنَسْتَرْشِدَ وَنَسْتَتِيرَ. فَمِنْ خِلَالِهِ يَرِينَا اللَّهُ ذَاتَهُ. وَيُوضِّحُ لَنَا طَرِيقَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.^٣

عَزِيزِي الْقَارِي.. أَدْعُوكَ لِنَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ كَلَامِكَ الْحَيِّ الْفَعَّالِ فَهُوَ نُورٌ لِسَبِيلِي. وَمِنْ أَجْلِ رُوحِكَ الْقُدُوسِ فَهُوَ مُرْشِدِي. اعْتَرَفْتُ بِضَعْفِي فَأَيَّدْنِي بِقُوَّتِكَ وَاعْمُرْنِي بِنِعْمَتِكَ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِ. مُتَكِلًا عَلَى وَعْدِكَ الصَّادِقِ. يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ١: ١

^٢ إنجيل لوقا ١: ٥ - ٢٥

^٣ إنجيل يوحنا ٣: ١ - ١٣

^٤ إنجيل لوقا ٢٤: ١٣ - ٣٥